النقد التوثيقي في رحلة العبدري

د. بوشيبة بوبكر

جامعة الجلفة

النقد التوثيقي هو امتحان المرويات، وتحقيق الروايات والأخبار، بالاعتماد على قواعد وأساليب وضعها علماء الرواية، لتصحيح المرويات والتثبت من مصادرها قبل روايتها، وذلك بالفحص الدقيق والمعرفة الأصيلة بمذاهب الرواة وأساليبهم من أجل تمييز الزائف والمنحول من صحيح المرويات، والهدف من التوثيق هو تصوير الوقائع كما وقعت بالفعل، سواء أكانت مادية أم معنوية كالقصائد والحكم والأمثال، وكذلك التأكد من صحة نسبة هذه الوقائع إلى ظروفها التاريخية التي حدثت فيها، وإلى أفرادها الذين صدرت عنهم، ولذلك فقد اتخذ النقد التوثيق أحد مظهرين:

الأول: منهج المحدِّثين، وهو الذي يستند إلى نقد السند، – أي: النقد الخارجي أو نقد الرواة – أكثر مما يستند إلى نقد المتن، أي: النقد الداخلي أو نقد النصوص نفسها، وهذا هو منهج علماء الحديث، فقد قسّموا الأحاديث إلى مراتب ودرجات بحسب قوتها وضعفها، وحددوا صفات من تقبل روايته ومن ترفض، وحددوا درجات الرواة، واعتمدوا منهج الشك في التجريح والتعديل، فقدموا بذلك أنموذجاً فريداً للدقة في توثيق النصوص1.

الثاني: منهج المؤرخين، وهو الذي يهتم بنقد المتن أكثر من اهتمامه بنقد السند2.

ولعل النقاد العرب القدماء قد استعانوا بهذين المنهجين في دراسة النصوص وتوثيقها، فقد وجهوا عنايتهم إلى جانبين اثنين، الأول: تحقيق عبارة النص بأن تكون مروية كما نطق بها الشاعر – وهو منهج المؤرخين –، والثاني: صحة نسبة النص إلى الشاعر – وهو منهج المحدثين –، وقد تطلب ذلك منهم معرفة واسعة بكل ما يرد في الشعر من أعلام وأماكن وحيوان ونبات وقبائل؛ لأن هذه الأشياء مما لا تلحق معرفتها بالفطنة والذكاء، ولا بد من معرفتها على وجه الحقيقة للتأكد من نطقها صحيحاً إذا وردت في الشعر، دون أن يدخلها تصحيف أو تحريف3.

وترجع عناية النقاد العرب القدماء بتوثيق النص الشعري إلى ظهور الوضع والانتحال والافتعال في الشعر، فقد وُجد من الناس مَنْ وضع أشعاراً أضافها إلى جاهليين وتزيّد عليهم، وكان ابن سلام الجمحي من أوائل النقاد الذين أشاروا إلى أهمية هذا الجانب، فقد ذكر أنه حُمِل على حسان بن ثابت ما لم يُحْمَل على غيره من الشعراء لما تعاضهت قريش واستتبت، فوضعوا عليه أشعاراً لا تليق به4.

وقد اتخذ هذا النقد التوثيقي عند العرب مظاهر متعددة، منها: تصحيح الروايات في الشعر، وإقامة الوزن، وإبعاد التصحيف والتحريف، والتنبيه على الاضطراب في نسبة النصوص إلى أصحابها، وعلى الانتحال إن وُجد، وكذلك الاهتمام بسلسلة السند.

نقد وتوثيق الروايات عند العبدري:

ويعد نقد التوثيقي عند العبدري ركنا من أركان منهجه النقدي العام في رحلته، و تتجلى قضايا هذا النقد من خلال ممارسته العملية النقدية ممارسة تطبيقية، استطاع من خلال ذلك الوصول إلى أدق خصائص تحقيق النصوص وتوثيقها، والكشف عن دواعي احتلاط المرويات وتداخلها، مبرزا قدرته الفائقة على تتبع الروايات.

وبعد دراستنا لنقد العبدري للروايات وتحليل قواعده، وجدناها تنتظم في ثلاثة قضايا نقدية أساسية هي: قضية نقد السند، وقضية نقد الرواة، وقضية نقد الرواية، وما يتفرع عنها من شعب وفروع كثيرة، وما يرتبط بها من مقاييس ومعايير، مكنته من تحقيق العديد من النصوص، والروايات التي ضمتها رحلته والتي يمكننا أن نقسمها إلى ثلاثة أجزاء. جزء تمثله تلك الروايات التي لم تخضع رواياتها ورواتها لتحقيقه مباشرة، مما يوهم بأن العبدري قد أهمل ذلك فيها، وواقع الحال انه قد عمل على إيراد هذه الروايات من

عدة طرق مختلفة، منها ما هو على سبيل الرواية الشفوية، ومنها ما هو على سبيل النسخ من الكتب والمدونات التي تؤكد صحة الخبر المروي، سواء كان قد جمع بين هذه الطرق كلها في صدر الرواية والسند، أم ذكره لعدد من الروايات المتتابعة، على اختلاف مصادرها، مع اتفاقها جميعا على صحة مضمونها.

وجزء يشمل سائر الروايات التي تخضع لتوثيقه المباشر وتحقيقه، في حدود القضايا النقدية التوثيقية التي أثارها خلال ذلك والتي قد أتينا على ذكرها قبل قليل.

وجزء آخر يمثل الروايات التي لم يفصل فيها العبدري، وإنما اكتفى بأدائها على الصورة التي تحملها عليها دون تحقيقها، وان كان في بعض الأحيان يشير إلى شكه فيها بقوله " ولا ادري هل هو له أو تمثل به ..."[5]. أو قوله في مواضع عدة " .. والله اعلم"، ومعظم هذه الروايات من نصوص أو أخبار تاريخية لم تسعفه مصادره من تحقيقها أو توثيقها.

ولم تكن هذه الأحكام كلها لترد مطلقة أو مجردة من التحليل النقدي عند العبدري، وإنما كانت تستند إلى عدد من القواعد النقدية والمنهجية الواضحة.

1- نقد السند :

السند لغة هو المتعمد، وسمي كذلك لان المتن يستند اليه ويعتمد عليه[6] أما في الاصطلاح فهو سلسلة الرواة، الذين نقلوا الخبر واحدا إلى أن يصلوا بالرواية إلى مصدرها الأصلي.

ويعتبر الإسناد في نقد الروايات العمود الفقري للخبر أو الرواية، والسند المتصل الصحيح من خصائص الرواية الصحيحة، وميزته انه يعطي طمأنينة وثقة بما يتم نقله عن هذا الطريق، إذ يمثل شهادة مجموعة من الرجال الثقات، مما يؤكد صحة الرواية أو النص المنقول وضبطه.

والسند أصل لازم من أصول الرواية والتأليف لدى العبدري، وقد أبدى حرصه الشديد عليه، وحقق من خلال التزامه به عدة غايات توثيقية هامة ومفيدة، تتجلى في نقده لرجاله، أو بحثه في صحة أصوله وأركانه. ومدى استيفائه لشروطه وقواعده، مستفيدا في ذلك من خبرته في رواية الحديث النبوي الشريف، مع ما يمكن أن يكون بين الرواية الأدبية ورواية الحديث من تباين واختلاف في عدة نواح وأمور[7].

ولذلك فقد كان العبدري حريصا على استيفاء السند لأدق شروطه في كثير من الأحيان كقوله : " قصيدة الشيخ الفقيد الصالح أبي زكريا يحي بن علي الشقراطسي التوزري وحدثني بها الفقيه أبي عبد الله محمد بن علي التوزري الشهير بالمصري قراءة منه عليه عن الشيخ الفقيه أبي عبد الله محمد بن أبي يحي الطولقي عن الشيخ الفقيه القاضي أبي عمرو عثمان بن أبي القاسم عبد الرحمن بن حجاج عن الشيخ أبي محمد عبد الله بن عمر بن حمادي بفتح الحاء وتخفيف الميم وأخره ياء قبلها دال مكسورة عن الفقيه الخطيب المحدث أبي القاسم عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن احمد النفطي عرف بابن الإمام وبابن الصائغ عن الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن يخلف بن وطاس بطاء مشددة عن ناظمها المذكور"[8].

وتتجلى قيمة هذا الاستيفاء للسند، في انه يمكن العبدري من الوثوق في صحة نسبة القصيدة إلى قائلها، مما يمكنه من الحكم عليها على سبيل النقد من خارج النص، وكذا التأكد من أن النص قد وصله كما قيل، إذ أن أي بتر قد يخل بالقصيدة على المستوى الموضوعي، والفني على حد السواء.

وميزة السند عند العبدري أيضا أن الروايات المسندة أفضل بكثير من الروايات والأخبار غير المستندة، لان فيها ما يدل على أصلها، ويمكن التحكم في نقدها وفحصها بصورة أفضل من الأخبار الخالية من السند، ذلك أننا لم نجد في كامل الرحلة انه اثبت أخبار أو روايات غير مسندة، إلا في موضع واحد، في قوله : " وأفادني أبو علي المذكور حكاية عن أبي محمد الحريري لم يذكر لها سندا "[9].

وهكذا يبقى الهدف من السند تصحيح النصوص والأخبار، ومحاربة الوضع، والكذب فيها، كما يرتبط حرصه الشديد على الأسانيد بطبيعة المصادر الثقافية التي اعتمدها في رحلته، إذ كانت الرواية من أهمها، كما يرتبط بنقده التوثيقي بروابط متينة، لما لها من صلة بتوثيق المادة المروية من حيث صحة نقلها، وصدق حملتها ورواتها.

ولذلك عني العبدري بتحقيق الأسانيد والبحث فيها، وبذل غاية الجهد في تتبعها، وتقصيها، وقد كان السند العالي من أسباب رحلة العبدري [10].

وقد استقصى العبدري كل أشكال السند المتصل. من خلال تتبعه لصحة الروايات وصدقها ، فتحصل من هذه الدراسة عدة مسائل تتصل بقضية السند.

ونقصد بالسند المتصل هنا هو اتصال حلقات الإسناد، بان يكون كل راو من رواة النص الشعري أو الخبر قد أداه كما سمعه ممن فوقه حتى يبلغوا قائله.

ولأجل ذلك كان العبدري حريصا على أن يكون الإسناد متصلا يصل راويه بقائله، من ذلك قوله : " أنشدكم الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحاج البلفيقي قال أنشدني أبو عبد الله بن فرحون السلمي قال أنشدني أبو عمران لنفسه"[11]. وقوله أيضا: " أنشدنا الشيخ الأجل العدل الفاضل عز الدين أبو القاسم عبد الله بن الحسن بن عبد الله بن رواحة الأنصاري الحموي قال أنشدتني الشيخة الأديبة أم علي تقية بنت الإمام أبي الفرج غيث ابن علي بن عبد السلام الارمنازي الصوري لنفسها ...."[12].

ومن أساليبه النقدية في تحقيق السند وتوثيقه هو اعتماده على السند الذي فيه:

" حدثني فلان عن فلان " والذي يصطلح عليه علماء الحديث بالمعنعن[13]. من ذلك قوله : " قرأت عليه بعض كتاب فتح الوصيد في شرح القصيد للشيخ الإمام علي الدين أبي الحسن بن عبد الصمد السخاوي وجميع القصيد المشروح وحدثني بهما جميعا عن السخاوي المذكور سماعا عن ناظمه أبي القاسم "[14].

والسند المعنعن عند العبدري صحيح الرواية، سليم التوثيق خاصة إذا كان قد ثبت عنده لقاء الراوي لمن روى عنه بالعنعنة، ذلك أننا لا نعدم في كثير من أسانيده: " عن فلان سماعا " كما في النص السابق.

على أن العبدري يفضل الإسناد الذي قل عدد رجاله، مع اتصاله. وذلك واضح من خلال إيراده لذلك دون مقارنة أو تحقيق[15].

ولعل لهذا التفضيل ما يبرره، حيث أن الإسناد الذي كثر عدد رجاله لا يسلم من الخلل، لان كل رجل من رجال السند يحتمل أن يقع الخلل من جهته سهوا أو عمدا، ففي قلتهم قلة جهات الخلل، وفي كثرهم كثرة جهات الخطل.

2- نقد الرواة:

معرفة الرواة لها أهمية بالغة في النقد التوثيقي، لان الأخبار والنصوص الأدبية تصلنا عن طريقهم، فهم الركيزة الأولى في معرفة صحة الأخبار وصحة نسبة النصوص لأصحابها، لذلك اهتم العبدري بالرواة اهتماما كبيرا، تجلى ذلك في انه حدد أشخاصهم تحديدا دقيقا، ابرز فيه هواياتهم كاملة، كي يتميز كل واحد عن غيره، فيبحث بعد ذلك عن حالهم ويحكم عليهم، ويترلهم منازلهم المناسبة، لأن الحكم على الشيء فرع عن تصوره، ذلك أن الراوي ربما يشابه راو آخر معاصر له أو غير معاصر له في اسمه أو كنيته أو ربما يعرف الراوي بكنيته فيحتاج إلى الكشف عن اسمه، أو يحتاج إلى إزالة النقاب عن نسبه وقبيلته كي تتبين هوية شخصه، أو غير ذلك.

كانت دراسة أشخاص الرواة عند العبدري وتمييزهم من ناحيتين: الناحية الزمنية التاريخية، ومن ناحية الاسم وما يتصل به من الكنية أو النسب أو اللقب أو غيره.

درس العبدري أشخاص الرواة وحددهم من ناحية الزمن والتاريخ، بحيث لا تلتبس أشخاص بعضهم مع بعض، فتحصل من هذه الدراسة أنواع من معارف النقد التوثيقي وأساليبه، ولا يتسنى لنا معرفة أشخاص الرواة من الناحية التاريخية إلا بدراسة هذه المقاييس.

ومن أهم هذه المقاييس ما يلي :

معرفة تاريخ مواليد الرواة، ومقادير أعمارهم وأوقات طلبهم وسماعهم من الشيوخ، وارتحالهم لبعض البلدان، ونحو ذلك، فهو فن مهم جليل، لان بمعرفة ذلك يعرف من أدرك من الرواة ممن لم يدركهم من الوضاعين والمنتحلين، فيعرف اتصال أسانيد الرواية وانقطاعها، أي بمعرفة تاريخ مواليد الرواة ووفياتهم يحصل الأمن من دعوى المدعي لقاء بعضهم وهو لم يلقاهم و لم يأخذ عنهم.

ولذلك كان العبدري حريص على ذلك، جاد في طلبه فهو حين يعرض للرواية المسند أبي عبد الله الكناني الشاطبي يذكر تاريخ ميلاده : " و سألته عن مولده فاخبرني انه كان في التاسع و العشرين من ذي القعدة عام أربعة عشر و ستمائة "[16].

ولعل لهذا التحديد الدقيق لتاريخ ميلاد الرواة أهمية نقدية بالغة، فهو يفيد معرفة ما إذا كان الراوي قد أدرك من روى عنهم.

ويقول العبدري في صدر ترجمته للمؤرخ الراوية أبي زيد الدباغ : "... وسألته عن مولده فقال لي سنة خمس وستمائة..."[17].

أما ذكر تاريخ الوفاة، فقد أشار العبدري لها متى علمها ممن يثق بروايتهم، فهو يشير في ترجمة الشقراطسي إلى وفاته فيقول "... وانه والى البحث عن وفاة الشقراطي حتى اخبره من وثق به أنها كانت يوم الثلاثاء لثمان خلون من ربيع الأول سنة ستة وستين وأربعمائة"[18].

والحاصل أن العبدري أبدى اهتماما كبيرا بتاريخ الرواة فكان لا يتوان عن إيراد تواريخ ميلادهم ووفاتهم من خلال ترجمته لهم. ولمن ترجم لهم من الأعلام الذين لقيهم في رحلته أو روى عنهم أخبارها ونصوصها. ومثال ذلك قوله: "... وعندهم توفي عقب جمادى الأخيرة عام تسعين وخمسمائة "[19].

وقد أولى العبدري الرحلات عناية بالغة، فأشار إلى الرواة الذين قاموا برحلة علمية للتحصيل، كما نجد ذلك في ترجمته للرواية المحدث أبي جعفر احمد بن يوسف الفهري اللبلي، فقد أشار إلى انه " رحل قديما إلى المشرق فحج ولقي جماعة من الأئمة بالإسكندرية ومصر والشام والحجاز"[20].

لقد درس العبدري أشخاص الرواة من ناحية أسمائهم، وما يتصل بها من الكنى و الألقاب وغيرها. وميز كل واحد عن غيره، بحيث لا يلتبس اسم احدهم، أو كنيته، أو لقبه مع غيره مما عرف به.

من ذلك قوله عندما ترجم للرواية أبي علي ابن باديس : " وهكذا قيد لي اسم أبيه بخطه مخطوطا وقال لي انه اسمه و كنيته..."[21].

وعليه فإن معرفة كنية الرواية ممن اشتهر باسمه وله كنية، تجنب الالتباس، إذ لا يؤمن أن يأتي في بعض الروايات مكنيا فيظن انه آخر، وكذا معرفة اسم الرواية المشهور بكنيته وغير المشهور باسمه، ليكشف عن حاله، لئلا يظن الشخص الواحد اثنين، إذ ربما يذكر هذا الشخص مرة باسمه غير المشهور، ومرة بكنيته التي اشتهر بها، فيظنها من لا معرفة له بذلك شخصين وهو شخص واحد.

وقد اهتم العبدري بمعرفة الراوي الذي ذكر بأسماء مختلفة، أو نعوت متعددة من كنى وألقاب، من ذلك انه ذكر من عرف بلقبين مختلفين مثل ".. الفقيه الخطيب المحدث أبي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن احمد النفطي، عرف بابن الإمام وبابن الصائغ"[22].

وذكر كذلك من عرف بكنيتين مختلفتين، فيقول عند ترجمته لشرف الدين الدمياطي: "... الشيخ الفقيه المحدث الراوية المسند المفتي الثقة الضابط، شرف الدين ذي الكنيتين أبي محمد و أبي احمد ..."[23].

ولا شك أن معرفة الألقاب والكنى المختلفة للراوية لها فوائد توثيقية جمة، ذلك أنها تجنب الظن أن تلك الأسماء، والنعوت لجماعة متفرقين، وهذا فن عويص صعب تمس الحاجة اليه.

كما تعرض العبدري من خلال توثيقه للرواية إلى ما يتلبس من أسماء الرواة، وهو ما تتفق في خط صورته، من الأسماء، والألقاب، أو الأنساب، وتختلف في التلفظ أو النطق صيغته، سواء كان مرجع الاختلاف في النقط أم الشكل. ومن أمثلة ذلك ذكره للقب الشيخ أبو محمد عبد الرحمن ابن عبد الله و هو ابن برطلة، فقال : " و أما ضبط هذا الاسم فقد قيدته على شيخنا أبي عبد الله :

برطلة بتاء التانيث المنقلبة هاء في الوقف وبضم الباء والطاء "[24]. ومن ذلك أيضا في ذكر النسب قوله " الشيخ أبي محمد عبد الله بن عمر بن حمادي بفتح الحاء وتخفيف الميم واخره ياء قبلها دال مكسورة "[25].

ولا يخفي ما في هذا من فوائد توثيقية تكمن في منع وقوع الوهم في اسم الراوي، أو التباسه بغيره، وتجنب الخطأ وعدم الوقوع فيه، وقد صنفت كتب كثيرة في هذا الفن منها كتاب "الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب، لابن ماكولا بن علي بن هبة الله المتوفى سنة 475ه و ذيله لأبي بكر بن نقطه"[26].

وبعد أن قام العبدري بدراسة أشخاص الرواة وميز كل واحد عن غيره، ذكر لهم أيضا صفات تحمل صاحبها على ملازمة التقوى، والورع، واجتناب الأدناس و ما يخل بخوارم المروءة عند الناس، حتى تحصل ثقة النفوس بصدقهم.

فقد وصف العبدري الرواية المسند أبي عبد الله الكناني الشاطبي بالورع والتقوى، وحسن الخلق فقال فيه : "... وهو شيخ على سنن أهل الدين، سالك سبيل المهتدين، مقبل على ما يعنيه مشتغل بعمر في طاعة الله يفنيه، دأبه الاقتصار على تجويد الكتاب، والتردد ما بين بيته والمحراب ... إلى خلق لو شاب ماء البحر صار فراتا، ودين ألزمه خشوعا واخباتا "[27]. ولعل التقوى التي نسبها العبدري لأبي عبد الله الكناني الشاطبي هي ما جعلته يثق في روايته بوصف التقوى هيئة راسخة في النفس تحمل صاحبها على الاستقامة في السيرة والدين.

كما نفى العبدري عن رواته خوارم المروءة، وهي تلك القوادح التي تشين الشخص وتكون سببا في عدم اعتباره، والحط من قدره، واحتقاره في العرف الاجتماعي، ولعل العبدري يعد ذلك مقياسا لصحة الرواية، فهو يثبتها لرواته، من ذلك قوله في أبي عبد الله محمد بن عبد المعطي بن محمد النفري : "... ذا مروءة وأخلاق جميلة "[28].

ولعل ما أثبته العبدري من صفات لرواته، إذا اجتمعت حملت صاحبها على الصدق، وصرفته عن الكذب، لما توفر فيه من الدوافع الدينية، والاجتماعية، والنفسية، فالعبدري لم يذكر كل تلك الصفات حشوا واستطرادا، وإنما لتبيان أن من روى عنهم أهل ثقة وصدق.

ولم يتوقف العبدري عند هذا الحد بل ذهب إلى ابعد من ذلك، حيث نسب الحفظ والتثبيت لرواته، مما يجعلنا نعتقد أن هذه الصفات كانت لها أهمية كبيرة عنده في قبول الرواية، من ذلك قوله في ابن المنير : " وما رأيت أحدا اجتمع له حسن الحفظ وجوده اللفظ وذكاء الفهم ما اجتمع له ..."[29]، وقوله أيضا: " ... على علو سنه ولا تغير شيء من ذهنه "[30].

ولا شك أن الصفات التي ذكرها العبدري لرواة رحلته كانت عنده مقاييس تؤهل الراوية للأخذ عنه، حيث انه نفاها عن الشيخ أبي محمد عبد الله ابن عبد السيد "... لأنه ضيق الخلق، لين النظر وفي لسانه حبسة لا يكاد يفهم معها "[31]، مما جعله غير مؤهلا عند العبدري للرواية، فيقول عنه : " و أظنه لا رواية له "[32]. فعلى الراوية أن يكون إلى جانب تقواه وحسن خلقه، ضابطا لكلامه متقنا له، حافظا متثبتا في روايته.

2- نقد المرويات :

وبعد نقد السند ورجاله، ينتقل العبدري إلى نقد المرويات نفسها فيؤكد صحتها ويسعى إلى التحقق من ذلك، أو يصحح ما أثبته منها، وله في ذلك أساليب مختلفة متباينة.

ومن هذه الأساليب التوثيقية التي يعتمدها العبدري في توثيق مروياته، ونقدها نجد إيراد الخبر أو النص من طرق عدة من ذلك قوله : " و قرأت عليه أنشدكم أبو إسحاق البلفيقي عن غير واحد من شيوخه عن أبي محمد الحجري عن ...."[33].

وهذا نوع من الروايات هو الصحيح في نظر العبدري، لاختلاف طرقه، وتعدد مصادره، مع اتفاقها جميعا على صحته دون أن يجد في مضمونه مطعنا يخل بسلامته.

وقد يكلف العبدري نفسه عناء التأكد من صحة الرواية، خاصة إذا كانت الرواية منفردة من ذلك قوله : " قلت هكذا حدثني أبو عبد الله بهذه الحكاية وقد وقعت في كتابه، منشورة لم يذكر فيه إلا ما أثبته و بالله التوفيق "[34]، و في ذلك كله ما يؤكد صحة ما ذهب اليه.

وكثيرا ما يذهب العبدري إلى حد المقابلة والمقارنة بين الروايات قصد تأكيد صحتها وتوثيقها، من ذلك قوله : " و ذكره أبو علي البغدادي وانشد له :

أقاسي البلا لا أستريح إلى غد فيأتي غد إلا بكيت على أمس

سابكي بدمع أو دم اشتفي به فهل لي عذر إن بكيت على نفسي.

وقال البكري : انشده ابن الجراح و غيره لداود بن جهوة لم يتخلفوا في ذلك "[35].

ولعل ما يبين حرص العبدري الشديد على صحة مروياته، هو تبراه من العهدة في رواية بعض الأخبار، إما لضعف سندها، أو عدم اطمئنانه لروايتها، من ذلك قوله : " و لم اخذ هذه الحكاية ممن اطمئن إليه، و أحيل بالعهدة فيها عليه "[36].

و لم يقف العبدري عند هذا الحد من تتبع الرواية في نقده للأسانيد ، ورواته، وكذا نقده للروايات، بل تتعداه لتوثيق أخبار رحلته، ونصوصها من المدونات، والمصنفات للتأكد من صحة نسبة الأشعار إلى أصحابها، والتحقق من سلامة الأخبار والمرويات، ومن ذلك أمثلة كثيرة جدا في رحلته، منها قوله : " هكذا حدثني أبو عبد الله بهذه الحكاية وقد وقعت في كتابه منشورة لم يذكر فيها إلا ما أثبته "[37].

ولا يجد العبدري في نفسه من حرج في تتبع المرويات والبحث في أصولها، مما يكلفه ذلك من عناء شديد، ومشقة فائقة، كقوله في توثيق أبيات من الشعر، اختلف الرواة في نسبتها : " وأنشدني من حفظه قصيدة لم أقف عليها تامة، وانشد منها أبو علي في نوادره أبياتا، و لم ينسبها وهي قوله :

(يلقي السيوف بوجهه و بنحره) الأربعة أبيات وكذلك انشدها أبو عبيد البكري في كتابه التدريب غير منسوبة إلا لإنشاد العتبي، ووصلها بأبيات ونسبها في كتابه اللآلي لابن المولى، وهو محمد بن عبد الله بن مسلم مولى بني عمرو بن عوف قال وهو من شعراء الدولتين "[38]، فلم يكتف بالرجوع إلى كتاب التدريب للبكري وحده، بل مضى يبحث في مصنفات البكري، حتى وقع على ذلك في كتابه "الآلي "، و لم يقنع بذلك فحسب وإنما راح يبحث في أخبار هذا الشاعر، عما يمكن أن يؤكد صحة نسبة الشعر إليه، معبرا بذلك عن خلق علمي أصيل، قلما نجده لدى ناقد آخر غيره.

ويخضع الخط والكتابة عند العبدري إلى الفحص الدقيق للتأكد من صحة نسبة المرويات إلى أصحابها، أو لمعرفة أصحابها من خلال معرفة الخطوط ومعاينتها، كقوله:"... فقراه عليه وهو إذ ذاك كبير، وفارقه وهو عنده مجهول، وما عرف من هو حتى عرفته به حين رأيت خطه "[39].

وإذا اعتمد على كتاب ما، واثبت منه مادة أو رواية فانه يحرص أن يكون بخط صاحبه ما أمكنه كقوله : " وقد وقفت على بطاقة بخطه قيد فيها لصاحبنا أبي عبد الله جملة ممن لقيهم من العلماء والصلحاء ونصها ..."[40]، أو قوله : " و قد قرأتها (القصيدة) بتخميسها على صاحبنا ابي عبد الله محمد، حدثني بها عن مخمسها المذكور قراءة عن الأديب... و نقلت هذا السند من خط أبي عبد الله المصري مخمسها "[41]، أو قوله " وأنشدني أيضا قال أنشدني أبو عمرو بن الأشقر، عن أبي الحسن المقدسي، عن الإمام أبي الطاهر احمد بن محمد بن احمد السلفي، عن الخطيب أبي زكريا يحي بن علي التبريزي، عن أبي الحسن علي بن محمد الفالي لنفسه وهو بالفاء أخت القاف واللام المشددة كذا وجدته بخط ابن الأشقر ومنه نقلت السند والشعر ..."[42]. و لعل هذا ما ذهب ببعض النقاد إلى التساؤل حين أشاروا إلى طبيعة مصادره الثقافية[43]، هل اعتمد في وصفه على المصادر المكتوبة دون الملاحظة المباشرة؟.

وقد يطول الحديث إذا حاولنا تتبع العبدري في نقده للروايات ويتشعب، إذ أن فروعه كثيرة ومختلفة، وشواهده غزيرة ومتنوعة، وحسبنا من ذلك ما أتينا على ذكره منها، وما أمكن لنا استخلاصه من خلالها من خصائص هذا النقد لديه، وقد بينا ما أفاده وحصله من قضايا نقده للروايات من حيث سندها، ورواتها، والروايات موضحين غاياته من ذلك ومراميه.

قائمة المصادر والمراجع:

1- أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري، رحلة العبدري، تحقيق محمد الفاسي، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، الرباط، (د ط)، 1968.

2- أحمد بن علي، الخطيب البغدادي، الكفاية في علم الرواية، دار الكتب الحديثة، ط1، (د ت).

3- أحمد جاسم النجدي، منهج البحث الأدبي عند العرب، طبعة بغداد، 1978.

4- بوبكر بوشيبة ، قضايا النقد الأدبي في رحلة العبدري، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة السانيا وهران، 2004/2003.

5- جلال الدين السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1966.

6- حسن الشهدي، أدب الرحلة في المغرب في العصر المريني، دار توبقال، طبعة مزيدة ومنقحة، 1996.

7- محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1984م.

8- محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، مكتبة المعارض، ط9، الرياض، 1417ه.

9- عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1977م.

10- سعد الدين السيد صالح، البحث العلمي ومناهجه النظرية، ، مكتبة الصحابة، ط2،جدة، 1993م.

11- سعيد إسماعيل صيني، قواعد أساسية في البحث العلمي، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1994م.

الهوامش

1-سعد الدين السيد صالح، البحث العلمي ومناهجه النظرية، ، مكتبة الصحابة، ط2،جدة، 1993م، ص27.

2- سعيد إسماعيل صيني، قواعد أساسية في البحث العلمي، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1994م، ص64-65.

3- عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي، ط4، القاهرة، 1977م، ص53- 54.

4- محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1984م، ص19.

5- أبو عبد الله محمد بن محمد العبدري، رحلة العبدري، تحقيق محمد الفاسي، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية والتعليم الأصلي، الرباط، (د ط)، 1968، ص71.

6- محمود الطحان، تيسير مصطلح الحديث، مكتبة المعارض، ط9، الرياض، 1417ه، ص157.

7- أحمد جاسم النجدي، منهج البحث الأدبي عند العرب، طبعة بغداد، 1978، ص178.

8- الرحلة، ص44.

9- الرحلة، ص44.

10- بوشيبة بوبكر، قضايا النقد الأدبي في رحلة العبدري، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة السانيا وهران، ص28.

11- الرحلة، ص44.

12- الرحلة، ص136.

13- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي، الكفاية في علم الرواية، دار الكتب الحديثة، ط1، (د ت)، ص 291.

14- الرحلة، ص114.

15- ينظر: الرحلة، ص 119-136-154.

16- الرحلة، ص66.

17- الرحلة، ص67.

18- الرحلة، ص43.

19- الرحلة، ص44.

20- الرحلة، ص 43.

21- الرحلة، ص 43.

22- الرحلة، ص44.

23- الرحلة، ص 132.

24- الرحلة، ص31.

25- الرحلة، ص 44.

26- جلال الدين السيوطي، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1966.

27- الرحلة، ص27.

28- الرحلة، ص44.

29- الرحلة، ص100.

30- الرحلة، ص66.

31- الرحلة، ص77.

32- الرحلة، ص77.

33- الرحلة، ص252.

34- الرحلة، ص96.

35- الرحلة ، ص253.

36- الرحلة، ص25.

37- الرحلة، ص96.

38- الرحلة ، ص20.

39- الرحلة، ص33.

40- الرحلة، ص18.

41- الرحلة، ص52.

42- الرحلة، ص70.

43- حسن الشهدي، أدب الرحلة في المغرب في العصر المريني، دار توبقال، طبعة مزيدة ومنقحة، 1996، ص190.